

الأساليب الإنشائية الطلبية ودلالاتها النحوية والبلاغية في غزل شواعر الأندلس

أيمن مصطفى طه سلطان و محمد عبد القادرالصديق علي و هند مأمون إدريس

^{1.2.3} جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية التربية - قسم اللغة العربية

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الأساليب الإنشائية ودلالاتها النحوية والبلاغية عند شواعر الأندلس، ولا سيما ما ورد منها في شعر الغزل باعتباره لوناً يعبر فيه صاحبه عن منازعه النفسية، وبواعثه الباطنية، ولما له من قدرة على إثارة المتلقي، وتحريك دواخله، وهذا ما يفقده الأسلوب الخبري. وقد تنوعت هذه الأساليب في خطابهن الشعري بحسب ما يقتضيه المقام والموقف، مما يدل على مقدرتهن الفاتحة في التعبير، ومن ثمّ النفاذ إلى المخاطب والتأثير عليه بمجرد سماعه لهذه الأساليب، لما تنطوي عليه من تراكيب قوية، وبنيات أسلوبية حملت في طياتها قدرة على التأثير. الأمر الذي جعل شعرهن يكتن في طياته أدوات تعبيرية وإيحائية فضلاً عن انتقاء الألفاظ، وجمال المعنى، وسمو الروح. وقد أوضحت هذه الدراسة الوصفية التحليلية التطبيقية أنّ شاعرات الأندلس أدين دوراً بارزاً في مختلف مناحي الحياة، كما أنّ أسلوب الاستفهام كان من أكثر الأساليب وروداً لما يحمله من دلالات كثيرة.

الكلمات المفتاحية: المعنى - التشبيب - الجوّاري - الحرائر

ABSTRACT:

This study aimed at knowing the structural methods and their grammatical and rhetorical significance in the poetry of Andalusia, especially what is mentioned in the poetry of the yarn as a color in which the author expresses his psychological conflict, his inner motives, and his ability to stir the receiver and move his interiors. These methods have varied in their poetic discourse as required by the position and position, which indicates their great ability to express, and then reach and influence the communicator by listening to these methods, because of the strong structures, And the style structures that carried the ability to influence, which made their poetry contains the tools expressive and suggestive as well as the selection of words, the beauty of the meaning, and the spirit. This study has shown analytical analytical description that the poets of Andalusia played a prominent role in different walks of life, The method of questioning was one of the most frequently used methods.

key words: Meaning - Toning - Maids - Mistresses

مقدمة:

كان لاختلاط العرب مع غيرهم في الأندلس أثر كبير في تشكيل ثقافة جديدة، الأمر الذي نتج عنه جيل مولد، عُرف بالذكاء والثقافة والجمال، وكان له في تاريخ الأندلس باع طويل. وتعتبر الشاعرة الأندلسية حرة كانت أم جارية جزءاً من هذا المجتمع المزدهر فكرياً وأدبياً، ممّا حفّزهنّ على الشعر والكتابة، إضافة إلى طبيعة الأندلس الخلابة والتي بدورها لعبت دوراً في إنكاء جذوة الشعر، فنتج الغزل بشقيه العفيف والجرئي الذي لم يكن موجوداً في العصر الأول، ومردّ ذلك للحرية الممنوحة لهنّ، ولكثرة مجالس اللهو. وقد تنوعت الأساليب الإنشائية وحملت في خطابهنّ الشعري بنيات أسلوبية قوية ومتماسكة نتجت عنها دلالات مختلفة، وحملت في طياتها وسائل تعبيرية لها إحاءات ذات معانٍ مختلفة قادرة على النفاذ إلى المتلقي والتأثير فيه.

معنى الإنشاء في اللغة:

الإنشاء هو مصدر الفعل الرباعي (أنشأ) وهو فعل مزيد من الفعل الثلاثي (نشأ) وقد كشف المعجميون عن معنى الإنشاء بقولهم: "النشأ أحداث الناس، والناشيء: الشاب، والناشئة: أول الليل، وأنشأت حديثاً: ابتدأته وأنشأ الله السحاب فنشأ ينشأ أي: ارتفع (الفراهيدي، ص: 288). من هنا نفهم بأن الإنشاء هم الصغار من الناس، ويبدل كذلك على معنى النمو والارتقاء واليَفُوع والظهور إلى الوجود، إذ يقال للشباب حين يبلغ قامته الرجل: فتى ناشيء، ويقال للسحاب أول ما يبدو سحاب ناشيء (الأزهري، 2001م، ص: 286 - 288)، فضلاً عن لفظة الإنشاء تدل على الإيجاد والابتداء بعد العدم، إذ يقال: "ابتدأت حديثاً، أي: أوجدته بعد إذ لم يكن موجوداً، وأنشأ الله الخلق، أي: ابتدأ خلقهم بعد إذ لم يكونوا شيئاً مذكوراً" (ابن منظور، 1414هـ، ص: 270)، ويؤيد ذلك ما أدلى به أبو هلال العسكري حينما فرق بين الإنشاء والفعل في قوله: "هو الإحداث حالاً بعد حال من غير احتذاء على مثال، ومنه يقال: أنشأ الغلام ناشيء إذا نما وزاد شيئاً فشيئاً، والاسم النشوء" (أبو هلال العسكري، د.ت، ص: 127). وقال بعضهم الإنشاء ابتداء الإيجاد من غير سبب، و الفعل يكون عن سبب، كذلك الأحداث هو إيجاد الشيء بعد إن لم يكن ويكون بسبب وبغير سبب، والإنشاء يكون من غير سبب.

بهذا نصل إلى أن دلالة الأصل للفظه الإنشاء هي الإيجاد والظهور، ولهذا رابط دلالي بمعناها الاصطلاحي ذلك بأن الإنشاء في الاصطلاح يدعو إلى طلب الشيء من المتلقي غير موجود قبل الطلب، وهذا يتفق مع المعنى المعجمي الذي يدل على الوجود والإظهار مطلقاً، وتأسيساً على هذا نقول إن ثمة ارتباطاً تأسيساً بين المعنى اللغوي للفظه والمعنى الاصطلاحي لها، ولعل من وضع المفهوم قد نظر إلى المعنى المعجمي لهذه اللفظة وأسس عليه.

مفهوم الإنشاء في الاصطلاح:

بعد أن جرت قسمة البلاغيين للكلام على صنفين هما الخبر والإنشاء بينوا أن الخبر هو ما احتمل الصدق والكذب، أما الإنشاء فهو ما كان ضد مفهوم الخبر، أي: هو ما لا يحتمل الصدق والكذب هذا ما قرره العلماء من قبل أن الجملة الإنشائية هي الجملة التي لا تحتمل الصدق والكذب لذاتها ذلك ب(أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا يكون لها خارج، الأول الخبر والثاني الإنشاء) (الجرجاني، 1428هـ، ص: 68).

وتأسيساً على هذا تعرّف الجملة الإنشائية بأنها: (الجملة التي لم تشتمل على خبر، وإنما أنشأ النطق بها حدثاً ما، كإنشاء طلب الفعل، إذ قلت لابنك: اسقني، أو قلت له: أجتهد أو لا تكسل، وكإنشاء طلب الفهم، إذا قلت للفتية: هل يجوز أن أفعل كذا؟ أو ما حكم كذا شرعاً أو نحو ذلك، فليس القصد من الجملة الإنشائية الإعلام عن نسبة حكمية تحققت أو لم تتحقق في الواقع (الميداني، 1416هـ، ص: 125)، لأن ذلك من توابع الخبر مطلقاً، وقد عرّف أحد الباحثين الجملة الإنشائية بقوله: "التي لم تكن إعلماً ولا إخباراً ولم يرد فيها تصديق قائلها أو تكذيبه؛ لأنها لم تتضمن فائدة للمخاطب لأمر قد تمّ في زمن مضى أو في الحال أو في زمن الاستقبال" (المخزومي، 1406هـ، ص: 163)، وبهذا تكون الجملة الخبرية هي الجملة التي اشتملت على خبر مجرد (من دون طلب) فمضمونها إخبار عن أمر ما، إيجاباً أم سلباً؛ لأنها القصد منها الإعلام بأن الحكم

الذي اشتملت عليه له واقع خارج العبارة الكلامية، الذي يترتب على التعريفين المذكورين للجملة الخبرية والجملة الإنشائية جملة أمور تفرقية يمكن إجمالها على النحو الآتي:

1/ إنَّ الجملة الإنشائية أكثر توكيداً من الخبرية في حال خلو الجملتين من أدوات التوكيد؛ لأنها خارجة عن نطاق التصديق والتكذيب، في حين أنَّ الجملة الخبرية تخضع لعامل الصدق والكذب؛ لهذا تحتاج إلى مؤكّد حين يشكك السامع في إخبار المتكلم في حين أنَّ الإنشاء هو طلب محض لا يخضع لهذا العامل ولهذا فهو مؤكّد دائماً، وبهذا يكون مجرداً من التشكيك ومبرئاً من التكذيب.

2/ إن أدوات التوكيد مع الجملة الإنشائية أكثر توكيداً منها مع الخبرية، لأنها تخلو من احتمال الوجهين - كما سبق - كقولنا: بنس فلان أو ما أحسن فلان، فنلاحظ أنها تخلو من التأويل على أكثر من احتمال، بخلاف الخبرية التي يتسرب إليها التشكيك حتى مع أدوات التوكيد أحياناً، إذ يستدعي الأمر في بعض المواقف أن يزيد المتكلم من المؤكّدات واحداً أو توكيدين.

3/ تكون الجملة الخبرية في مخاطبتها الفكر والتصور الدلالي لدى المتلقي وإحداث عنصر التأويل لديه أقدر من الجملة الإنشائية؛ لأنَّ الأخيرة لا تعدو التعبير عن الشعور بالانفعال من شيء سواء كان في حال الإنشاء الطلبي أم الإنشاء غير الطلبي، وهذا يعني أن الجملة الإخبارية أكثر استعمالاً في المعاني التي تقتضي التفكير وتقلب العبارة ولهذا ترد الإخبارية في نطاق خطاب المباحث العلمية والعقلية أكثر مما ترد الجملة الإنشائية، إذ كل المباحث العلمية والفلسفية تغلب عليها بشكل مطلق الجملة الخبرية، أما الإنشائية فتأتي في حالات الانفعالات كالمدح والذم والتهديد والوعيد والإغراء والأمر والنهي ونظائر ذلك.

وخاصة الأمر هي أن الجملة الخبرية غالباً ما تخاطب العقل لأن طبيعة العقل تغليب الأمور والموازنة والتشكيك، أما الإنشائية فتأتي غالباً لمخاطبة العاطفة والانفعال لذلك فهي تكثر في الشعر والخطب التي تقتضي التحريض والتحفيز وما إلى ذلك من أمور.

ولا بدّ من أن نذكر أن البلاغيين قد قسموا الجمل الإنشائية إلى طلبية وغير طلبية، إذ يقول القزويني: "والإنشاء ضربان طلب وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل" (القزويني، 1424هـ، ص: 130).

تسمية الأندلس:

لم تعرف شبه الجزيرة الإيبيرية التي تشمل دولتي أسبانيا والبرتغال باسم الأندلس وإنما عرفت من أقدم عصورها باسم إيبيريا نسبة إلى الإيبيريين (أسبانيا والبرتغال اليوم) الذين كانوا من أقدم من سكنوا هذه البلاد من البشر (سالم، 1985م، ص: 5)

ثم عرفت بعد ذلك باسم أسبانيا هذا الاسم أطلقه الرومان على شبه الجزيرة حين حكموها، وقد استنبطوه من تعبير فينيقي، وكان الفينيقيون قد أطلقوه من قبل على الشاطئ الذي نزلوا به من تلك البلاد، وخاصة الجزء الجنوبي حيث أسسوا مدناً لا يزال بعضها قائماً إلى اليوم، مثل مدينة قادس (Gaziz) وكان ذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. (سالم، 1985م، ص: 5).

شواعر الأندلس:

عرف العصر الأندلسي عدداً لا يستهان به من الشواعر حيث بلغ عددهن ما يقارب خمساً وعشرين شاعرة.

• الحرائر:

هناك عدد من الشواعر اللاتني عشن في الأندلس وبالذات في الفترة التي سبقت عصر الطوائف منهن الأدبية مزنة (الضبي، 1410هـ، ص- 530) ، التي وصل إلينا اسمها ولم يصل شيء من شعرها ، ولذكائها وفطنتها وحسن حظها شغلت منصب سكرتيرة عند الأمير الناصر لدين الله .

ومن الشواعر الحاذقات لبني كاتبة الحكم بن عبدالرحمن التي شاركت في ضروب العلوم كالنحو والحساب والعروض وأتقنت فن الخط والكتابة .

ولاشك أن الشاعر الحره أسعد حظاً وأرفع مكانه وأوفر إنتاجاً من الشاعرة الجارية عند الرواة والمؤرخين والقدماء، وربما نظروا إليها نظرة اختلفت عند الرواة والمؤرخين والقدماء، وربما نظروا إليها نظرة اختلفت عن نظرتهم للشاعرة الجارية ، ولقد بلغت حرائر الأندلس وبخاصة في القرن الرابع الهجري ، مكانة رفيعة، ولقد قيل عن عائشة بنت أحمد بن محمد خادم القرطبية (الضبي، 1410هـ، ص 192) التي توفيت عام أربعمئة هجرية ، أنه لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها فهماً وأدباً وشعراً (سلمى، د.ت، ص256)

وفيما يلي عرض موجز للحرائر من شعر الأندلس :

فالشواعر من الحرائر هن:

الغسانية البجانية و مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري و أم العلاء بنت يوسف الحجازي و أم الكرم بنت معتصم بن صمادح و صفية بنت عبدالله الربي و قسمونة بنت إسماعيل اليهودي و مهجة بنت التيناني القرطبية ونزهون بنت القلاعي و ولادة بنت المستكفي بالله.

• الجواري:

وبالرغم من دور المرأة هذا إلا أن المؤرخين لم يهتموا بتدوين ما كتب من شعر النساء الأندلسيات ، إلا النزر القليل كالذي ذكر في كتب ، (الذخيرة) ، و(المغرب) و(الصلة) و(المطرب) و(نزهة الجلساء) و(نفع الطيب) وقد كان ذكر ذلك بتلميح خاطف وقليل . حتي أن هذا القليل المحدود الذي نقل عن شواعر الأندلس كان يتناقله المؤلفون عن بعضهم البعض دون تبسيط في النقل ، ولا إستفاضة في البحث عن أحوالهن وذكر أخبارهن وأشعارهن ، ولقد حاولت قدر جهدي البحث عن أخبارهن من خلال الكتب التي تناولت الأدب الأندلسي(سلمى، د.ت، ص 232)

ولقد تصدت شواعر الأندلس لفنون الأدب جميعاً وأمعن في كل ذلك إمعان صعب على الرجل أدراكه في مواطن كثيرة ولاسيما في إجازتها للأبيات الشعرية(عفيفي، 1350هـ، ص140).

وقد تألفت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء . وأكثر ما تكون الغلبة والنجاح للمرأة ، فقد كانت أسرع بديهة وأكثر حاضرة وأرق طبعاً.

وفيما يلي عرض موجز للشواعر الجواري في الأندلس :

والشواعر الجواري هن :

اعتماد الرميكية و العبادية و أنس القلوب و عتبة و غاية المنى.

معنى الغزل:

الغزل لغة: قال ابن منظور: الغَزَلُ : حديثُ الفَتَيَانِ والفتيات، وذكر ابن سيدة : الغَزْلُ : اللهُؤُ مع النساء ، ومُعَازَلَتُهُنَّ : مُحَادَثَتُهُنَّ ومُرَاوَدَتُهُنَّ . وتقولُ : غَازَلْتُهَا وغَازَلْتَنِي ، وتَغَزَّلَ أَي تَكَلَّفَ الغزل ، وغَزَلَ غَزْلاً

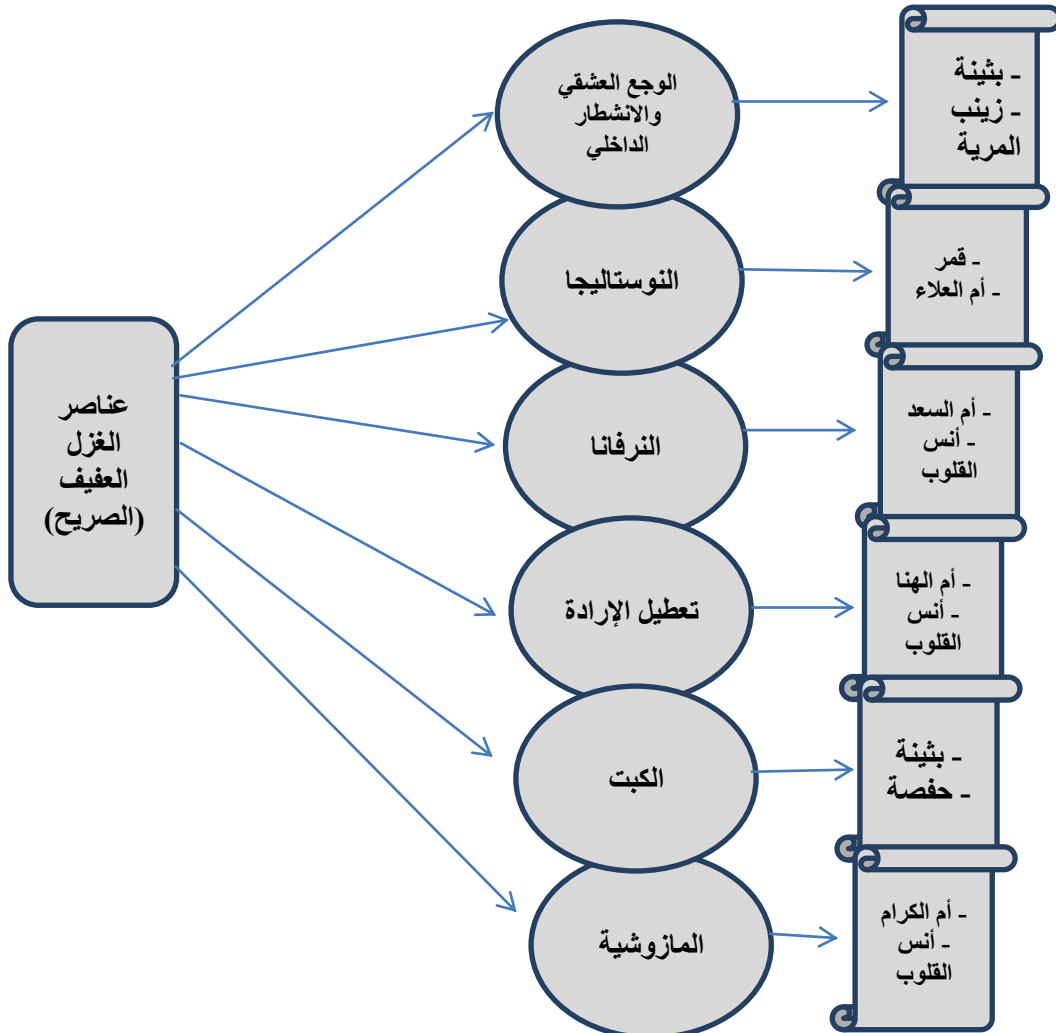
وقد تَعَزَّلَ بها وغازلها وغازلته مُغازلةً . ورجلٌ عَزَلٌ : مُتَعَزِّلٌ بالنساء على النسب أي ذو عَزَلٍ . وتقول العرب : أَعَزَّلُ من الحُمَى ؛ يريدون أنها معتادةٌ للعليل متكررةٌ عليه فكانها عاشقةٌ له مُتَعَزِّلةٌ ، وغازلَ الأَرَبِيعِينَ : دنا منها . الغزل اصطلاحاً : قال ابن رشيق ك الغزلُ ، والنسيب ، والتشبيبُ كلها بمعنى واحد . فحقه أن يكون حلو الألفاظ ، سهل المعاني ، غير كَرٍّ ، ولا غامض ، يطرب الحزين ، ويستخفُّ الرصين . هذا يعني أن للغزل ألفاظاً معينة ينتقيها الشاعر ليعبر بها عن أحاسيسه ، وعواطفه الجياشة ، مظهراً للشكوى والاشتياق ، مستعظفاً لمحبهه ، شاكياً من معاناة الصد والهجر ، واصفاً للعوادل والوشاة .

معاني الغزل عند شواعر الأندلس:

1_ الغزل العفيف المحافظ:

و هذا النوع من الغزل له معانٍ مقبولة عند المجتمع؛ لأنها تتناسب مع فطرته السوية، فلا يوجد فيها ما يخدش الحياء، وإنما غزل يكتفه الوقار والحشمة والعفة.

• عناصر الغزل العفيف: (إقبالي، 2015م، ص: 7)



ويرى أحد الباحثين أن معاني الغزل التي عبّرت عنها شواعر الأندلس تتباين بين الاعجاب الممزوج بالحب وبين إظهار شخصيتها وإبداء الدلال والتيه والكبرياء . ومنها شكوى الفراق وبعد الحبيب أو الحديث عن

الحبيب الغائب أو وصف الوشاة وما يقومون به من أفعال شائنة وهناك الشكوى ولكنها الشكوى بصوت خافت، أو أن تتغزل الشاعرة أحياناً غزلاً رقيقاً تمزج فيه بين الحب والعاطفة والإعجاب، وأحياناً تكون المعاني معبرة عن السرور الذي تمازجه دموع الفرح بقرب لقاء موعد الحبيب، ومن تلك المعاني الغيرة من كل شيء (يونس، 2005م، العدد 24) ، ونلمح هذا الغزل عند الشاعرة الحرة أم العلاء وهي من شاعرات القرن الخامس حيث تخاطب محبوبها بغزل محافظ تدعوه من خلاله لأن يتمهل ولا يعجل بلومها وهي واثقة من ذلك ؛ لأنها تستجير بحلمه وكرمه قائلة ((التلسماني. 1988 ص: 301 - 402):

أحوالي وما حكمت به الشواهد وأعذرنى ولا تلم
ولا تكلني إلى عذر أبينه شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جئته من زلة فبما أصبحت في ثقة من ذلك الكرم

ونجد هذا الغزل عند الشاعرة الحرّة الغسانية وهي من شاعرات القرن الخامس كذلك، حيث تعبّر عن عاطفتها بصدق، وهي تشتكي ألم الفراق وتمنّي نفسها بالوصل، بعد أن بان عنها من تحب وتصف الحياة من غير محبوبها بلا طعم، كلها أحزان ، كأنها والموت سواء في شعر عذب صادق جسّدت من خلاله حبها وهيامها، إذ تقول من الطويل:

أتزع أن قالوا سترحل أظعان *** وكيف تطيق الصبر ويحك إذ بانوا
وما هو إلا الموت عند رحيلهم *** وإلا فعيش تجتنى منه أحزان
عهدتهم والعيش في ظل وصلهم *** عتاب ولا يخشى على الوصل هجران
ليالي سعد لا يخاف على الهوى *** عتاب ولا يخشى على الوصل هجران
ويسطو بنا لهو فنعتق المنى *** كما اعتنقت في سطوة الريح أفنان
ألا ليت شعري والفراق يكون هل *** تكونون لي بعد الفراق كما كانوا

ونختم عرضنا للغزل المحافظ بأبيات للشاعرة العذرية (أسس القلوب) (نفح الطيب، 1988م، ص: 146 - 147) التي تميز شعرها بجرس موسيقي عذب ، فذاع صيتها ، وكانت عند المنصور بن أبي عامر المتوفي سنة (392هجري). وهي تصف محبوبها بالقمر لبهاء طلعتة ولسمو مكانته طامعة في المزيد من هذا الحب وهي تعلم أنّه يزيدا تعذيباً وألماً، إذ تقول:

كيف كيف؟ الوصول للأقمار *** بين سحر القنا وبين الشفار
لو علمنا بأن حبك حق *** لطلبنا الحياة منك بثار
وإذا ما الكرام هموا بشيء *** خاطروا بالنفوس في الأخطار

ويرى إقبالي وهو أحد الباحثين المحدثين أنّ مثل هذا النوع من الشعر يُعرف بالمازوشية: (Almazhukah): وهي صورة لنفس الشاعرة وتاريخ حياتها الباطنية هدفها الوصول إلى السعادة؛ إنّها تعبّر عن حالة مرضية متغلغلة في نفس العاشق وتنبّين في لعه بسقمه وهزاله وحرمانه وتلذّذه بألمه وإستمتاعه بحرقة الشوق الذي لا أمل في اشباعه (والشاعرة العذرية الأندلسية تتعمّد التشبيب بالمحبيب) تعتمداً كانت وراءه دوافع اللاوعي كأنها من العصايبين الذين يهونون "تعذيب الذات" أي "مازوشي الطبع" ولا تنتهي علاقتها بالمحبيب إلى الرباط الشرعي أي الزواج و يحسن المنع والإغراء والإطماع بالإقصاء، وأسباب اللّجاجة في الهوى عندها كثيرة. فتميل الشاعرة

مياً شديداً إلى تعذيب النفس والحبیب، لمجرد الاستمتاع والتلذذ بالألم والعذاب؛ بأنهما جزء من عنف التجربة الغرامية العذرية، وهذا من أهم خصائص "المازوشية" (إقبالي، 2015م، ص: 24 - 25).

الغزل الجري (غير المحافظ):

وهذا اللون من الشعر ظهر في الأندلس في القرن الخامس الهجري بعد أن فقد المجتمع الأندلسي تماسكه وضعفت الأواصر التي كانت تشد بناءه وانغمس الناس في الترف المادي والتردي الاجتماعي وانغمست المرأة وتردت فكان تتغزل في الرجل كما يتغزل بها وكانت تلح في إغرائه وإغوائه وتصف مفاتها ومحاسنها ولم تكتفي بذلك بل كان يستبد بها الشوق والرغبة الملحة فتذهب إليه زائرة.

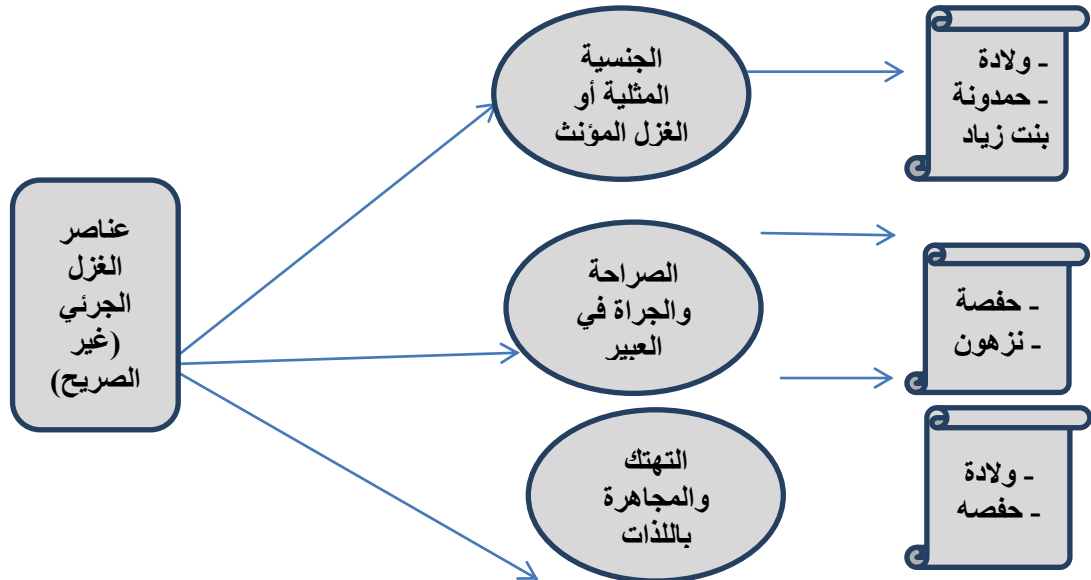
أما المعاني التي دار حولها هذا الغزل فتتمثل بالتصريح بالحب وإشهاره ورغبة ملحة في طلب خلوة بالحبیب والانفراد به ومنه وصف لقاء بين حبيبين تصور فيه الشاعرة ليلة من ليالي مبادلها، أو الشكوى المرة لفراق الحبيب والتصريح بالشوق إليه وإخبار الحبيب بترقب موعد الزيارة ليلاً لأن الليل أكرم للسر، ومن تلك المعاني تخيير الحبيب أن يزور أم يزار لأن قلب الحبيبة متلهف لتلبية ما يشتهي الحبيب يصاحب ذلك وصفاً للمفاتن والمحاسن وصف فيه إغراء وإغواء.

ومنه زيارة الحبيب في داره ووصف رائع لسحر العيون وخمر الرضاب وورد الخدود كل ذلك مع طلب الأذن للسماح بدخول دار الحبيب. أو الثناء على ثايا الحبيب ووصف لقبلة من قبلاته التي ذاقت فيها خمر رضابه.

واللافت للنظر في هذا اللون من الشعر أن الشاعرات اللواتي صدر عنهن كن أميرات من بيت الملك أو من الطبقة الراقية في المجتمع.

فأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح كانت أميرة حيث كان والدها ملك المرية وكانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسماز وعملت فيه الموشحات.

عناصر الغزل الجري (غير المحافظ) (إقبالي، 2015م، ص: 17):



ويظهر لنا أن الشاعرة الأندلسية حرة كانت أم جارية أطلقت العنان لمشاعرها ولم تتقيّد بما يجب على المرأة التي عُرف عنها أنها مطلوبة لا طالبة، ومرغوبة لا راغبة وهي التي تكون مطمع العشاق في الظفر بحبها أو الحديث معها ن أو حتى النظر إليها، فهاهي الشاعرة حفصة الركونية تُغري حبيبها بزيارتها ، كما أنها لا تتوجّس في زيارته أو تتردد، بل تخرج عن كل ما هو مألوف في أنها لا تصدّه في أبيات تعبّر فيها عن ما وصلت إليه من نيران العشق من موسيقى الوافر التي تمتاز بالخفة والسرعة والاضطراب ؛ لأنها تماثل حالتها المضطربة وسرعتها للقاء حبيبها نجد ذلك عند الشاعرة حفصة الركونية قائلةً :

أزورك أم تزور فأن قلبي إلى ما تشتهي أبدأ بميل
فثغري مورد عذب زلال وفرع ذوابتي ظل ظليل
وقد أمّلت أن تظماً وتضحى إذا وافى إليك بي المقيّل
فعجّل بالجواب فما جميل إباؤك عن بثينة يا جميل
(نوح الطيب 1988م، ص: 170)

ونختم عرضنا لهذا النوع من الغزل بالأميرة ولادة بنت المستكفي وهي ابنة الخليفة محمد بن عبدالرحمن الملقب ب(المستكفي) الذي بويع بالخلافة سنة (414 - 1023 هجري) وقد وصفته المصادر التاريخية بإعجاب كبير لما تميزت به من صفات فريدة ميزتها عن نساء عصرها (نوح الطيب 1988م، ص: 170)

بأبياتٍ زعم المؤرخون أنها كتبتها على جانبي ثوبها، إذ تقول:

أنا والله أصلح للمعالي *** وأمشي مشيتي وأتية تيتها

وكتبت على الآخر:

وأمكن عاشقي من صحن خدي *** وأعطي قبلي من يشتهيها

الأساليب الإنشائية في غزل شواعر الأندلس و دلالاتها النحوية والبلاغية:

للتكوين الإنشائي جمالية تجلّت من خلال غزل شاعرات الأندلس، لما له من قدرة على إثارة المتلقي، وتحريك دواخله، وهذا ما يفتقده الأسلوب الخبري.

وقد تنوعت هذه الأساليب في خطابهن الشعري بحسب ما يقتضيه المقام والموقف، مما يدل على مقدرتهن الفاتكة في التعبير، ومن ثمّ النفاذ إلى المخاطب والتأثير عليه بمجرد سماعه لهذه الأساليب، لما تتطوي عليه من تعابير.

الأمر الذي جعل شعرهن يكتن في طياته أدوات تعبيرية وإيحائية فضلاً عن انتقاء الألفاظ، وجمال المعنى، وسمو الروح.

وقد وردت هذه الأساليب على النحو التالي:

الأمر: كوّن الأمر سمة بارزة في خطاب شواعر الأندلس، وجاء لأغراض مجازية، وتمّ توظيفه بغرض إنتاج دلالات جديدة وذلك لخدمة الرسالة المقصودة، وقد اقتصر صيغته على فعل الأمر، ويظهر بوضوح عند الشاعرة حفصة الركونية، وهي تخاطب الأمير عبد المؤمن بن علي ارتجالاً بين يديه:

ياسيد الناس يامن * * يؤمل الناس رفته

امنن علي بطرس * * يكون للدهر عده

تخط يمناك فيه * * الحمد لله وحده

(نفح الطيب 1988م، ص: 170)

فالشاعرة مهّدت للأمر بأنّه سيّد الناس، وأنّ الكل يؤمل في عطائه، ثم تأتي أمره بالفعل القاصر (امنن)، وقد انزاحت بنية الأمر عن معناها الحقيقي إلى دلالة مجازية وهي التمني؛ لأنّها لا تستطيع الوقوف أمام الدهر وصروفه، فهي تتمنى أن يمن عليها المخاطب طامعاً أن يكتب لها بخط يده لا بيد غيره، وأشارت بذلك إلى العلامة السلطانية عند (الموحدين) إذ يعنونون رأس المنشور بخط غليظ فيه عبارة (الحمد لله وحده) (نفح الطيب، 1988م، ص: 178).

ونجد الشاعرة نفسها تتغزل بالقول:

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * * أظل بأحبابي يذكرني وهنا

لعمري لقد أهدى لقلبي خفقة * * وأمطرني منهل عارضه الجفنا

فقد صدّرت الكلام بالأمر (سلوا) ويظهر لنا أنّ للفعل دلالات كثيرة، فالأولى هي التحسّر على فراق محبوبها، كيف وأنّها تشتكي من طول الليل الذي هو الزمان لبث شكوى العاشقين ومعاناتهم، ولا شك أنّها تتحسّر على بُعد محبوبها، وهي لا تحتمل فراقه. والدلالة الثانية تحمل التقرير في إنّها لا تعرف النوم، مؤكدةً كلامها بالقسم على الرغم من سكون الليل داعية لمن يشك في ذلك أن يسأل البرق الخفوق الذي هو شاهد على معاناتها حتى غدا يرسل خفقاته إليها لتجاوب معها خفقات قلبها المضطرب للقاء ليكتمل خفقان البرق بنزول الغيث، فتأبى الدموع إلا أن تتجاوب معه بإرسال الدمع مدراراً من الأجفان في خيال بديع واستعارة جميلة. وتقول الركونية في رسالة كتبتها إلى بعض أصحابها:

أزورك ام تزور فإن قلبي * * الى ما تشتهي أبدا يميل

فثغري مورد عذب زلال * * وفرع ذؤابتي ظل ظليل

وقد أملت أن نظما وتضحى * * إذا وافى إليك بي المقيل

فجعل بالجواب فما جميل * * إباؤك عن بثينة يا جميل

(نفح الطيب 1988م، ص: 170)

حيث تأمر حبيبها بالفعل (عجل)، ويبدو لنا أنّ دلالاته التمني وليس الالتماس، والذي يوضح ذلك أنّ رتبة المحبوب هي الأعلى بدلالة كلمة (إباؤك) التي تشير إلى ترفع المحبوب وعزته بنفسه، فهي تطمع أن يعجل بالجواب بعد اقراءه، بأن يطلبه يجدها رهن إشارته لا تخفي عنه شيئاً في غزل جرئي يندر أن يأتي من المرأة إلى الرجل، مؤكدة أن ثغرها سيكون مورداً عذباً له، وأنّ شعرها سيكون مرقده بل ظلّه من نيران الكأبة ورغم هذه الإغراءات تتمنى أن يأتي الجواب منه حتى تصبح حياتها نعيماً بجواره، ثم تختم الأبيات ببديع التورية إشارة إلى جميل بن معمر ومحبوبته بثينة.

ولا تختلف دلالات الأمر عند الأميرة ولادة، إذ تقول:

وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح * * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ترقب إذا جن الظلام زيارتي * * فإني رأيت الليل اكنم للسر

(نفع الطيب 1988م، ص: 170)

حيث وظفت الشاعرة صيغة الأمر (ترقب) وهو على وزن (تفعل) الذي يدل على المبالغة لغرض مجازي وهو التشويق، وإمعاناً في هذا التشويق جاءت بأداة الشرط (إذا) لبيان أن زيارتها له مشروطة، عندما يسدل الليل ستره، وسيجدها عندئذ متلهفة للقاء باذلة لما ويشتهيها، واصفةً لمحاسنها ن مغربةً إياه، معانته في صراحة أن ما فعله العشق بها كافياً لتغيب البدر، ومذهباً لظلام الليل، وداعياً للنجوم لتترك المسير. وهذا المعنى يشبه قول ابن الرومي:

شكوى لو أنني أشكوها إلى جبل * * أصمّ ممتنع الأركان لانفلقا

وقد سلخ المتنبى المعنى بالقول (العميدي، 1961، ص: 29):

ولو حُمِلْتُ صُمُّ الجبال الذي بنا * * غداة افترقنا أوشتت تتصدع

وقد تنوعت صيغ الأمر فهذه بثينة الرميكية التي وقعت في الأسر عندما نُهب قصر أبيها، وتم شراؤها من أحد تجار إشبيلية الذي بدوره أهداها لابنه، ولكنها امتنعت عليه وأظهرت نسبها، وقالت: لا أحلُّ لك إلا بعقد نكاح إن رضي أبوها، فوجهت كتابها تقول:

اسمع كلامي واستمع لمقالتي * * فهي السلوك بدت من الأجياد

لا تنكروا أنني سبيبت وأني * * بنت لملك من بني عباد

(نفع الطيب 1988م، ص: 295)

ويظهر لنا أن للأمر دلالات كثيرة تحملها الأبيات في طياتها فغرض الدعاء حاضر في البيت الأول فهي تود سماع كلامها؛ لأن ما تريده هو الصواب، وكيف وهي بنت الملوك الذين دانت لهم الأرض، ولكن أدارت لهم الأيام ظهرها وأنها لا تريد أن تقترب ذنباً، فبعد أن عرّفت أباها بماضيها التلذذ، تخاطبه بالأمر (اسمع) حتى يجد كتابها الاهتمام عنده، ثم يأخذ الأمر صيغة جديدة وهي الترجي، يرشدنا إليه قولها: (فعساك) لما يحمله (عسى) من الرجاء والمقاربة من خلال الخبر وهو المضارع (تعرّف).

الاستفهام:

وظفت شاعرات الأندلس بنية الاستفهام لأغراض مجازية تجاوزت البنية الإنشائية الطلبية إلى كونها معانٍ توليديّة، نتجت عنها دلالات جديدة فمن هذه المعاني قول حفصة الركونية:

أزورك أم تزور فإن قلبي ... إلى ما تشتهي أبدا يميل

فغري مورد عذب زلال ... وفرع ذؤابتي ظل ظليل

وهل تخشى بأن تظما وتضحى ... إذا وافى إليك بي المقيل

صدّرت الشاعرة أبياتها باستفهام مفاده التشويق، ثم جاءت ب(أم) الدالة على التسوية لبيان أن محبوبها سيجد ما يشتهي إن زارها أو زارته، في غزل جرّي عبّرت فيه عن مفاتها التي أصبحت غير مخفية أمامها، وتختتم الأبيات باستفهام صدرته ب(هل) ويبدو لنا أن للاستفهام دلالتين، أولهما: التعجب؛ لأن هل تحمل معنى كيف، فهي تتعجب كيف يأتي الظم أو الكأبة إلى من تحب وهي بجواره، يجد شعرها ظلاً ظليلاً، ويمكن أن يكون الغرض هو النفي، إذ تنفي وجود هذه الأشياء، وهي معه، بغيرها العذب، وذؤابتيها، وهي بمثابة الأيك، إذا لفحت حبيبها نيران الأسي.

ونقف مع الشاعرة نفسها عندما طلبها أبو جعفر شهرين قائلاً:

يامن اجانب ذكر اسمه * * وحسبي علامه
إن لم تنيلي أريحي * * فاليأس يثني زمامه
(نفع الطيب 1988م، ص: 173)

وردت بالقول:

أتى قريضك لكن * * لم أرض منه نظامه
أمدعي الحب يثني * * يأس الحبيب زمامه
فالشاعرة تريد من استفهامها الإنكار؛ لأن من يدعي الحب لا يمكن أن يثنيه يأس محبوبه، والدليل على مجازية الاستفهام الإنكاري، أنها تختتم أبياتها بالقول:

لو كنت تعرف عذري * * كفتت غرب الملامه
وذكر المقري شارحاً للأبيات أن أبا جعفر فهم أن الشاعرة تعده بالقبة التي في جنته المعروفة بالكمامة سرّاً (نفع الطيب، 1988م، ص: 173).

ولا تخرج دلالة الاستفهام عند الشاعرة نزهون عن المعاني السالفة الذكر، فما هي ترد على أبي بكر بن سعيد الذي اتهمها قائلاً:

يامن له ألف خل * * من عاشق وصدیق

وعندئذٍ ردت إليه بغزل جرئي (نفع الطيب، 1988م، ص: 295):

حلت أبا بكر محلاً منعته * * سواك وهل غير الحبيب له صدري

فالاستفهام يحمل دلالة النفي؛ لأنها تنفي أن يكون هناك شخص قد سعد بقرها، وأن ما وصله أبو بكر كان محصوراً عليه؛ لأنه هو الحبيب المقدم.

وندلف إلى دلالة جديدة مع الشاعرة نفسها، في أبيات ترد فيها على المخزومي، إذ تقول:

جاوبت هجوا بهجو * * فقل لعنت: من أشعر؟

إن كنت في الخلق أنثى * * فإن شعري مذكر

(نفع الطيب 1988م، ص: 173)

فالاستفهام معناه التهكم والتحقير، في قولها: من أشعر؟ ثم تزيد من توبيخه وتحقيره وترفع من شأن شعرها، بأنه هو مذكر، وإن كانت أنثى في الخلق.

ونختم عرضنا لمجازية الاستفهام ببيتين للأميرة ولأدة:

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق * * سبيل فيشكو كل صب بما لقي

وقد كنت أوقات التزاور في الشتا * * أبيت على جمر من الشوق محرق

فالاستفهام جاءت به لغرض التمني بالأداء الاستفتاحية (ألا) فهي تتمنى أن تلتقي بعشيقها بعد بين طويل، حتى يشكو كل واحد منهما بما يجد من ألم الفراق الذي جعلها تبيت على جمر محرق، ولاسيما في فصل الشتاء.

النهي:

وردت صيغة الأمر في بعض المواطن عند شاعرات الأندلس، وقد انزلت أيضاً هذه البنية عن معناها الأصلي وهو طلب الكف عن الشيء استعلاءً وشكَّلت دلالات مجازية، ويظهر ذلك جلياً عند الشاعرة حفصة في جوابها الوزير أبي جعفر وذلك أنهما باتا بحور مؤمل، فلما حان الانفصال أجابته:

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد

فلا تحسن الظن الذي أنت أهله * * فما هو في كل المواطن بالرشد

فلا يخفى أن النهي في البيت الثاني جاء لغرض النصح والإرشاد، فهي ترد على حوار بدأه الشاعر، فتخوفت الشاعرة أن يصدق ما بدا له، والذي يقوي دلالة النهي أن الشاعرة نفت حدوث ذلك عن طريق القسم في (لعمرك) ثم أردفته بالنفي، وجاءت بالأداة الاستدراكية لتدل على صحة كلامها.

ونختم عرضنا للنهي مع الشاعرة بثينة بنت المعتمد وهي تخاطب أباها:

لا تنكروا أي سبيت وأنني * * بنت لملك من بني عباد

فالنهي موجه من الأسفل رتبةً إلى الأعلى بغرض التمني؛ لأنها لا تريد أن تكون مع شاب من غير زواج.

النداء:

أظهر هذا الغرض رغبة الشاعرات في الوصول إلى ما أردنا، ومن النماذج قول الركونية وهي تتشد الأمير عبد المؤمن ارتجالاً (نفح الطيب، 1988م، ص: 171):

ياسيد الناس يامن * * * يؤمل الناس رفده

امنن علي بطرس * * * يكون للدهر عده

فالمنادى (سيّد) المضاف إلى الناس، وقد نادته بأداة ينادى بها البعيد، وذلك لعلو مكانته، وقد وظفت النداء لغرض التخصيص مع التنبيه، إشارة إلى ما تتمناه في البيت الثاني.

وقد وظفت الأميرة الشاعرة ولادة النداء بغرض التحقير عندما هجت الأصبحي قائلةً:

يا أصبحي اهنأ فكم نعمة * * * جاءتك من ذي العرش رب المنن

قد نلت باست ابنك ما لم ينل * * * بفرج بوران أبوها الحسن

(نفح الطيب 1988م، ص: 295)

فهي تناديه بالأداة (يا) إشارة إلى دنو منزلته، وعدم حضوره عندها، وذلك تحقيراً له، ولعل البيت الثاني بهجائه المقذع يؤكد دلالة التحقير.

الخاتمة:

بعد هذا العرض والتحليل للجملة الإنشائية عند شواعر الأندلس، خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- 1- وظفت شاعرات الأندلس الجملة الإنشائية وما فيها من أساليب الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني لإبراز حالتهم الوجدانية والنفسية.
- 2- تنوعت الأساليب الإنشائية وصيغها عند شاعرات الأندلس لأغراض تتناسب مع رؤيتهن الشعرية وشعورهن الدافق.
- 3- جاءت التراكيب الإنشائية متنوعة، وحملت انزياحات تركيبية من تقديم وتأخير وحذف لتدل على تمكّن شاعرات الأندلس من امتلاك ناصية البيان.
- 4- لم يصل إلينا من غزلهن إلا النذر القليل، وربما أخفينه خوفاً من سهام النقد.

5- يُعد الاستفهام أكثر الصيغ وروداً؛ لما في صيغته من دلالات كثيرة يحمل في طياته طاقة تعبيرية وإيحائية.

المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار النور، 1414هـ.
- 2- التلمساني، نوح الطيب، تحقيق: يوسف الشيخ، دار الفكر، 1988م.
- 3- الجرجاني، المقتضب في شرح الإيضاح، تحقيق: أحمد عبد الله، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1428هـ، 2007م.
- 4- سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، 1985م.
- 5- سليمان، سلمى، المرأة في الشعر الأندلسي، ط1، بنجان، باكستان.
- 6- شمس الدين، إبراهيم، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ، 2003م.
- 7- الضبي، بغية الملتمس، المكتبة الأندلسية، ط2، 1410هـ، 1989م.
- 8- العسكري، أبو هلال، الفروق في اللغة، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- 9- عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، مكتبة الثقافة، المدينة المنورة، ط2، ج1، 1350هـ، 1932م.
- 10- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مادة (نشأ).
- 11- مجيد، يونس هاشم، معاني الغزل عند شاعرات الأندلس، جامعة ديالي، كلية التربية الأساسية، العدد الرابع والعشرون، مجلة الفتح، 2005م.
- 12- المخزومي، مهدي، النحو العربي، دار الرائد، بيروت ط2، 1406هـ، 1986م.
- 13- الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1416هـ، 1996م.